

طعنة الدم... زهرة النار

أحمد بلحاج وارهام

فِي جَبْهَةِ اللَّيْلِ يُفْرَغُ فَاتِحَةً
يَسْقُطُ اللَّيْلُ مُتَلَجًا،
زَهْرَةَ النَّارِ تَلْكَ
أَسْتَقَامَتْ بِهَا جِسْمَهَا سُبُلُ الْأَسْتَيْلَةِ.

* * *

يَا أَشْتَعَالَ الْحَجَرَ
يَا أَعْتَصَارَ النَّظَرَ
يَا أَخْضِرَارَ الْجُنُونَ...
خَلَابِيَّةٌ طَعْنَةُ الدَّمِ،
هَذَا الْجَحِيمِ خَرَائِطُ يَطْبَعُهَا الْوَهْمُ.
إِنَّ السَّبِيلَ إِذَا لَمْ تَمْتَحِهَا التَّأْوِيلُ...
أَعْطَتْ صَبَاحًا
وَإِنَّ الْبِلَادَ إِذَا لَمْ تَصِلْهَا الْعَصَافِيرُ...
مَدَّتْ جَنَاحًا،
فَطُوبَى لِطِفْلِ
يَشْكُ بِعُرْوَةِ هَذَا الزَّمَنِ
زَهْرَةَ النَّارِ،
يَرْبِطُ بَنْبُضِ الْحُرُوفِ بَنْبُضِ الدَّمَاءِ.

مراكش - المغرب

فِي فِضَاءِ التَّمَاثُكِ تَسْعَى
إِلَيْهَا تَجِيءُ الْحَنَادِسُ أَعْمَى
وَتَأْتِي إِلَيْهَا الْهَمُومُ التَّخِينَةُ مَرَعَى،
هُوَ اللَّيْلُ:

يَحْشُو خَرَاطِيمَهُ بِالْمُحِيطِ
يُمَرِّغُ فِرْوَتَهُ فِي الْخَلِيجِ.
لَكَ اللَّهُ أُمَّ الصَّبَايَا

لِكَ الْفُقَرَاءِ مِنَ النَّفْطِ وَالْحُكْمِ

يَحْتَرِقُونَ
وَيَحْتَشِدُونَ
وَيَحْتَرِقُونَ جِدَارَ الْمَنَايَا
لِكَ الْحَامِلُونَ النُّبُوَّةَ
يَسْتَبْشِرُونَ...
وَيَسْتَلْهِمُونَ...
وَيَسْتَعْدِبُونَ الرِّزَايَا
لِيَبْقَى أَمْتِشَاقُكَ زَهْرَةَ نَارِ.
فَطُوبَى لَصَفْصَافَةٍ فِي الصَّبْقِيعِ تُغْنِي
وَلَا مَرَأَةً تُرْضِعُ الزَّهْرَ
تَنْشُرُ أَكْبَادَهَا فِي رِيَّاحِ التَّحْوَلِ.

* * *

يَخْرُجُ طِفْلٌ بِقَامَتِهِ الْقُدْسِيَّةِ

فِي رَمَادِ الْخَرَابِ
يُكْفَنُ هَذَا الصَّفِيرَ
وَيَدْعُو الْجِرَاحَ سَجَايَا
يُصَلِّي إِلَى زَهْرَةِ النَّارِ،
حَجْمُ الْعِنَاقِ أَشْتَكِي
طَعْنَةَ الدَّمِ.

* * *

كُلُّ الْفُصُولِ أَنْتَضَتْ مِخْدَمًا
أَيْنَ تَمْضِي الْعَيُونُ
إِذَا الْأَرْضُ ضَاقَتْ بِسِحْرِ الْوَضَاءَةِ؟!
أَيْنَ الطُّفُولَةُ تَنْشُرُ أَسْرَارَهَا؟!
وَالْتَبَارِيحُ تَنْبُتُ حَارِقَةً
وَالْكَوَابِسُ تَسْرُحُ عَاشِقَةً،
فِي الرِّصِيفِ الرِّصَاصُ...
أَمَطَى قَامَةَ الظَّلِّ
أَرْحَامَهَا تَأْكُلُ الْفَاقِرَاتِ
مَتَى يَصْرُخُ الْمَاءُ؟
بِيْرُوتُ تَرْفَعُ لَعْلَعَةَ الْكِبْرِيَاءِ
وَحِيدَةً عَزْمَ،
أَلَا... لَا عَفَا اللَّهُ عَمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ أَيْدِيهَا
إِنَّهَا... .